الفصل الثالث

آثار حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ على المجتمع الإسرائيلي

المبحث الأول: نزوح الصباريم

وإذا كان الأديب الإسرائيلي أهارون ميجد، قد رصد حرب السادس من أكتوبر في رواية (فويجلمان)، مبرزاً واقع المعارك في مواقعها الطبيعية، وحسب زمانها الفعلي، وكل ما يتعلق بها من أهوال، لما آثارها النفسية على الجندي الإسرائيلي، فقد رصد آثار تلك الحرب على المجتمع الإسرائيلي، والشخصية الإسرائيلية، وخاصة الشباب، وذلك في رواية (رحلة في أغسطس)، حيث كان من أبرز آثار الانهيار النفسي الذي اجتاح قطاعات عديدة من هذا المجتمع، ازدياد موجة النزوح من إسرائيل، في أعقاب نهاية الخدمة بالجيش الإسرائيلي، لأسباب عديدة، من أبرزها، بلا شك، سقوط نظرية الأمن الإسرائيلية، بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وكما ورد في رواية (رحلة في أغسطس)[١]: في حوار بين الجنود بالجيش:

---

(١) رواية رحلة في أغسطس (١٩٨٠) للكاتب الإسرائيلي الواقعي المعاصر (أهارون ميجد)، تدور أحداثها حول عائلة إسرائيلية على خلفية من حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣. العائلة الإسرائيلية تفقد ابنها البكر في الحرب، ويأتي الدور على الابن الثاني للدخول في الخدمة العسكرية بالجيش الإسرائيلي، في الوقت الذي ما تزال تعاني فيه لأسرة من آلام فقد الابن الأكبر، الذي ما تزال صورته ماثلة في عقل، ووجدان الأب، الذي يتناقش. ويتحاور، دائماً، مع نفسه عن ماهية الحرب، ومقتل وفقد الأبناء. ويذهب الأب في رحلة طويلة رحلة مكانية، بحثاً عن ابنه، ماراً بمواقع عسكرية شبيهة بذلك الموقع، الذي قتل فيه الابن الأكبر، إلى أن يصل إلى الموقع الذي قتل فيه، بالفعل.
وأثناء هذه الرحلة المكانية، تثور في داخله بالتوازي رحلة نفسية يتناقش فيها مع نفسه، حول ماهية الحرب، ويتناقش مع مجموعة من الشباب، رفاق الرحلة، ينتمون إلى نوعيات واتجاهات مختلفة، من=

=مساقط رأس مختلفة، أيضاً، ويدور الحوار حول ماهية الحرب وعذاب الآباء من جراء فقد الأبناء، أيضاً، وهي نفس حالة الأب المسافر بالجسد، والفكر، بحثاً عن ابنه المفقود، والذي يعيش المأساة المتوقعة، من جراء دخول الابن الثاني للجيش، والتعرض للموت، أو الفقد.

وتبرز أحداث الرواية أسباب عدم استقرار الأسرة الإسرائيلية، على مدى السنين، ومن حرب لأخرى.

نفس الوقت الذي تسوده أحزان الأسرة على فقد الابن الأول، يأتي الدور على الابن الثاني للدخول في صفوف الجيش، وهو «جيدي»، حيث لم يلتزم بتقديم نفسه في الموعد المحدد، وهو يوم الخامس عشر من الشهر، وسافر بعيداً عن مسقط رأسه، بينما الشرطة العسكرية تلاحقه، ومن المحتمل أن يتعرض لعقوبة السجن، لأنه يعتبر هارباً من التجنيد.

والأب حائر بين هذا، وذاك البحث في وجدانه عن الابن المفقود في حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، الذي قام بدوره في تلك الحرب، في مقابل الابن الثاني، الهارب من التجنيد. وتلبية نداء الواجب، وفي البيت ينتاب الأم الذهول، والهلع، وقد شحب وجهها، ونحل جسمها، وهي في حالة من الترقب، والانتظار لعودة الابن المفقود، والابن الشارد.

ويحاور الأب نفسه، ويقول:« إن الرب قادر على كل شيء»، ولكن هل الصلوات والابتهالات تعيد الابن الذي مات، ويجيب على نفسه بالنفي، لأن الميت قد دفن تحت التراب، ولا رجعة له مهما كانت التوسلات، والابتهالات، والصلوات.

والصورة التي رسمها الكاتب لرفض الحرب، ورفض ويلاتها، تعكس هموم جيل بأكمله في إسرائيل، يكره الحرب، ويرنو إلى العيش الهادئ، بعيداً، عن كوارث الحروب.

وهذه الصرخة العالية ضد الحرب، لم يكن «ميجد» هو الوحيد من بين الأدباء الإسرائيليين المعاصرين الذي عبر عنها، ولكن عبر عنها، أيضاً، بعض أدباء «الموجة الجديدة» ، وعلى رأسهم «أ.ب يهو شواع»، وخاصة في روايته (في بداية صيف ١٩٧٠).

إن الصورة الأدبية، التي رسمها ميجد تتشابه مع الصورة الواردة في رواية (بداية صيف ١٩٧٠)، حيث فقد الابن، أيضاً، في الحرب، ولكن مع فارق، وهو أن الابن عند ميجد مات، ووري الثرى، وكان الأمل الباقي هو الحفاظ على حياة الابن الثاني، بينما نجد عند «يهو شواع»، أن الابن المفقود يعود للحياة من جديد، لأن الأب وصله بلاغ خاطئ عن موت ابنه، ولم تكن الجثة التي تسلمها هي جثة ابنه ، وبالتالي فقد عاد إليه ابنه من جديد، بعد أن مات طوال يوم كامل، ولبس ملابس الحداد السوداء عليه.

وتتلاقى أحداث قصة «يهو شواع» (في بداية صيف)، مع أحداث قصة ميجد (رحلة في أغسطس). في إبراز واقع المجتمع الإسرائيلي في مرحلة الحرب، وما يستتبعها من خوف على الأبناء، والبحث عن طريق لنجاتهم من مصير الموت المحتوم. =

-يسافر، الآن، كثيرون للولايات المتحدة الأمريكية...

-أنت تقصد أنهم ينزحون؟[1].

-إنهم يسافرون، وبعد ذلك، يظلون هناك، معي في السرية ثلاثة ينوون السفر بعد نهاية الخدمة العسكرية.

-ماذا يفعلون هناك؟

-أحدهم له أحد الأقارب هناك، وآخر دبروا له عمل في جراج بسان فرانسيسكو، أحد معارفه نزح من إسرائيل إلى هناك، منذ عشر سنوات، وكون ثروة»[2].

وهكذا، فإن هذه الظاهرة التي لازمت إسرائيل، لفترة طويلة، كأثر من آثار حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، رصدها «ميجد»، باعتبارها نوع من الرصد التاريخي، لآثار هذه الحرب على المجتمع الإسرائيلي.

وقد أشار أمنون روبنشستين، إلى أن حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، تمثل نقطة تحول في موضوع نزوح «الصباريم» من إسرائيل، كما هو في موضوعات أخرى : تم النزوح من خلال تحرك غير شرعي، ثم انقلب ليصبح موضوعاً شرعياً.

ففي عام ١٩٧٥، وللمرة الأولى منذ عام ١٩٥٣، تساوى على ما يبدو عدد النازحين مع عدد المهاجرين، ومع ارتفاع عدد «الصباريم» ضمن النازحين ارتفع ،

= وبالإضافة إلى ذلك ترصد رواية «ميجد»، مرحلة ما بعد حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وإبرام اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل، وحركة المجتمع الإسرائيلي المتأرجح بين الرفض، و لتأييد لهذه الاتفاقية.

(١) المصدر نفسه، ص٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٦، ٦٧.

أيضاً، صخب النازحين أبناء البلد[١]، وهنا التقى إخلاص «الصباريم»، مع خيبة الأمل من إسرائيل، وخلق مركب بغيض مزعج، لدرجة أن «حانوح برطوف» [٢] كان يفضل اليهودي المهاجر من «بروكلين»، على «الصبار» المخلص، النازح من إسرائيل[٣].

فقد كانت الهجرة في كل بلدان العالم، أمراً عادياً، وأحياناً، له أهميته للمهاجر، في سعيه لإحراز مستوى معيشي أفضل، ويجد ترحيباً، ومساندة من وطنه، إلا أن ذلك يعد أمراً غير طبيعي، وشائكًا، وغير شرعي دينياً في إسرائيل، حيث إنهم يعتبرون القادم إلى إسرائيل بمثابة ارتفاع لقيمته الإنسانية، والجغرافية، لكونه وطأت قدماه طبقاً للشريعة اليهودية «الأرض المقدسة». أما المغادرة، فتسمى نزوحًا، وتخلى عن هذه المكرمة من وجهة نظر الشريعة، والصهيونية.

ومن هنا، تأتي الدلالة بتسمية هجرته إسرائيل (بعالياه)، أي الصعود، والعلو، ومقابلها النزوح (يريداه)، بمعنى السقوط، ودلالة الدنو، بالبعد عن «الأرض المقدسة» ، من وجهة نظرهم الدينية، والصهيونية.

◆◆◆

(١) أبناء البلد: اصطلاح إسرائيلي، يطلق على «الصباريم» الذين يعودون إلى أصول شرقية (للمزيد من التفاصيل: راجع الشامي ، الشخصية اليهودية ، مصدر سبق ذكره).

(٢) حانوخ برطوف: كاتب وأديب إسرائيلي ولد في بتاح تكفا ١٩٢٦، عضو كيبوتسي (عين حوريش)، كان يعمل محرراً في صحيفة (لامرحاف) وعمل ملحقاً ثقافيا في السفارة الإسرائيلية بلندن (١٩٦٦- ١٩٦٨)، ناقش في روايته (الحساب والنفس ١٩٥٣)، القيم الأيديولوجية لدى الشباب الإسرائيلي.

(٣) أمنون روبنشتين، لهيوت عم حفشي، دار نشر شوكن القدس- تل أبيب، ١٩٧٧ ، ص١٢٩.

المبحث الثاني

معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل والتخلي عن سيناء

في رواية (رحلة في أغسطس)، يبرز الأديب أهارون ميجد، المأزق الإسرائيلي بالنسبة لمعاهدة السلام، وإخلاء سيناء بالكامل، وتسليمها لمصر، فقد أبرز أنه لم يكن هناك خيار لإسرائيل، سوى ذلك.

وقد وضح ذلك من خلال حوار بين عنصرين من الرواية، بآراء مختلفة، حيث دار الحوار التالي بين (تمارا)، وميخال (مهندس يهودي روسي).

-قال: لن يعطهم «ميشا» كهرباء، إنه غاضب بشدة على هذا الأمر (معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل).

-قالت تمارا: لأنهم (حكومة إسرائيل)، سيتركون سيناء، إنه ضد هذا بعنف، هل تعتقد أنه كان لنا خيار في هذا؟

-سألت تمارا ميخال، ونظر إليها، كمن يفكر في الإجابة، ثم توجه بعد ذلك إلى دانيال بنظرة غاضبة، وقال: «إنني لا أفهم هذه (الاتفاقية)، إن هذا بمثابة انتحار، إن هذا.....انتحار بالفعل».

ولكن لأن دانيال لم يرد ولم تعبر نظرته الباردة عما يفكر فيه بهذا الشأن.

-قال يوحنان:

إن هذا احتمال، ليس أكثر من احتمال، ولكن إذا كان الاختيار هو بين حرب مؤكدة، وبين احتمال السلام، فإنه في هذه الحالة ينبغي اختيار احتمال (السلام) [1].

وهنا، تطل علينا قضية اللاخيار الإسرائيلية الشهيرة، وإن كانت في اتجاه

(١) ميجد، رواية رحلة ...، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

معاكس، حيث ينحاز «يوحنان» لاختيار السلام، بدلاً من اختيار الحرب، الذي كانت إسرائيل، دوماً، تحاول أن تبرر به حروبها مع العرب.

خلقت حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، واقعاً جديداً من الصراع داخل المجتمع الإسرائيلي، في أعقاب اتفاقيات السلام بين مصر وإسرائيل، فقد انقسم المجتمع الإسرائيلي بين مؤيد للسلام، وبين رافض له، رفضاً للثمن الذي سيترتب عليه، وهو الانسحاب من الأرض المحتلة، وكان، وما يزال، هذا الرفض يمثل وجهة نظر منطلقة من أيديولوجية معينة، ترى في الانسحاب من سيناء، أو من الأرض المحتلة، هو بمثابة إضعاف لدولة إسرائيل، وعلاوة على ذلك، فهم يشككون في هذه الاتفاقيات، والمعاهدات، مع التشكيك في سياسات الولايات المتحدة الأمريكية، لأنها شريك في إنجاز هذه المعاهدات، بين مصر وإسرائيل.

وترصد رواية (رحلة في أغسطس لأهارون ميجد)، حركة تفاعلات المجتمع الإسرائيلي، في أعقاب حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، ومدى الانقسام بين الرفض والتأييد، حيال معاهدة السلام مع مصر، والتخلي عن سيناء.

في هذا المشهد يخاطب ميخال (مهندس مهاجر من روسيا)، دانيال (والد جندي مفقود في الحرب):

-أنت فقدت ابنك في الحرب.

-هذه فاجعة كبرى، وأنا أعرف، وأقدر ذلك.

-ولكن أسألك: من أجل ماذا سقط شبابنا؟

هل من أجل أن نسلم للعدو الأرض التي سقط عليها الشباب؟

أليست كل هذه التضحيات..... إن هذا يؤلمني كلما فكرت فيه[١].

(١) المصدر نفسه، ص ٨٩.

ويستمر الحوار خلال الرحلة.

«ولدى وصولهم من مداخل تل أبيب، قالت عماليا: هل سمعتم أنهم سيعيدون سيناء كلها (تعود للسيدة المصرية).

-قال دانيال: (الذي كان يجلس في المقعد الخلفي، ومنحنياً بجسمه للأمام، ويسند ذراعيه على المقاعد الأمامية، ولم يتفوه بكلمة واحدة، طوال الرحلة، سوى أنه كان يتطلع، يميناً، ويساراً، كما لو كانت البلاد جديدة عليه. كان كل شيء غريبا، ومفاجئًا، مدينة مفتوحة». جيدي (مازال رأسه حليقاً).

ضحكت عماليا، وقالت بالطبع، إن هذا بالذات يناسبه [1].

يبرز النص العبري السابق، التباعد، والتباين، والاختلاف. في وجهات النظر، والرأي حول التحرك السياسي لإسرائيل، بإبرام معاهدات السلام، والتخلي عن سيناء، وذلك من خلال أسلوب الحوار، على النحو التالي:

١- الإشارة إلى السلطات الحاكمة في إسرائيل بضمير الغائب (إنهم)، يدلل على التباعد بين الأطراف الحاكمة، وبين الاتجاه السائد بين الجمهور الإسرائيلي.

٢- تمثل شخصية (عماليا) الطرف الرافض لمعاهدة السلام، والتخلي عن سيناء.

٣- يمثل (دانيال) الجانب الآخر المتعاطف مع السلام، مقابل التنازل عن سيناء، لأنه بمشاعر الأب، يدرك أن هذا سوف ينقذ ابنه، الذي يستعد للتجنيد من خوض حرب أخرى، من الممكن، أن يلقي حتفه فيها.

وهذا واضح من خلال الحوار، حيث إنه في الوقت الذي تتحدث فيه عماليا عن

(١) المصدر نفسه، ص ١٧.

سيناء، نجد (دانيال) لا يعير هذا الرأي اهتمامًا، ويتحدث عن ابنه (جيدي)، الذي يشغل كل اهتمامه، بدءاً، من الشكل (حلاقة رأسه)، وحتى روحه، وحياته من جراء التحاقه بالجيش، وخشيته من نيران الحروب، وفقد الأبناء.

إذا كانت واقعية الأديب أهارون ميجد، تعبر عن مدى صدق رصده، وتسجيله لكل ما يدور في عصره من خلال شخصياته الواقعية، منها، أو المتخيلة، وإذا كان ميجد قد أوضح لنا وجهة نظر في الأحداث السياسية المعاصرة، التي مرت بها إسرائيل، وخاصة في مجال الصراع العربي ـ الإسرائيلي، في حالات الحروب التي دارت في مرحلة الصراع الساخن، أو في حالات ما بعد الصراع للتوجه نحو السلام، وكشف على لسان بعض شخصياته، عن تأييده لاتجاه الأرض مقابل السلام، باعتباره حلاً حتمياً تاريخياً، إلا أنه لم يفته كأديب واقعي، أن يتعرض لوجهة النظر الأخرى، التي ترى أن السلام مع العرب هو كارثة بالنسبة لإسرائيل، وأنه قد ينتهي بها إلى التدمير.

وهذه الفئة، وإن كانت ترضخ تحت وطأة ضغوط داخلية في إسرائيل، أو خارجية من القوى العظمى، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، للقبول بمبدأ السلام مع العرب، فإنها تظل تحتفظ لنفسها برؤية خاصة في تفسير هذه الأحداث، والتحسب لها مستقبلاً، بحتمية امتلاك إسرائيل لأكثر الأسلحة، فتكاً، ودماراً، كوسيلة لتأمين وجودها، إذا ما تخلى العرب عن توجه السلام مع إسرائيل.

ويمكننا أن نرصد توجهات هذه الفئة، كما وردت إشارات إليها في روايتي (فويجلمان) و(رحلة في أغسطس) لأهارون ميجد، من خلال المحاور التالية:

١- محور التفسير التآمري من الدول العظمى، لدفع إسرائيل للسلام من أجل إضعافها.

٢- محور حتمية امتلاك القوة، ليست الرادعة فحسب، بل الخارقة، والفتاكة.

أولاً: محور التفسير التآمري:

يقدم لنا الأديب أهارون ميجد، هذا المحور من خلال تلك المناقشة، التي دارت بين ميشا (المهندس اليهودي الروسي)، وبين دانيال (الأب)، والد الجندي المفقود في حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

ويأتي الحوار على لسان ميشا، على النحو التالي:-

-وبدا الروسي، وكأنه يسمع، أو كان يعتقد بأن هذه الأمور لا تستحق الرد عليها.

-ووجه حديثه مرة أخرى إلى دانيل، وقال:

-«أنا لا أفهم! هل الناس لا ترى؟ هل لا يرون ما يحدث هنا.

-ما يحدث مع السادات، والأمريكان؟

-في الواقع ليس كل شيء واضحًا! إن أي ولد في السابعة من عمره يعرف قليلاً عن لعبة الشطرنج، يمكنه أن يدرك على الفور، ما يفعله الشريك ليس من خلال عشر خطوات، ولكن خلال ثلاث خطوات فقط.

-أليس هذا (بلوت)، كيف يعبرون عن «بلوت»؟

-مؤامرة.

-ابتسم يوحنان وهو مسرور، قليلاً من غضب الروسي.

-نعم: مؤامرة الأمريكيين، وخاصة مع العالم العربي كله، مع السعودية، والكويت، وحسين، ومنظمة التحرير الفلسطينية، والجميع، والذي بدأ ذلك هو

«كيسنجر»[1]، عندما أرغمنا على مغادرة السويس، والسماح للجيش الثالث المصري بالعودة إلى وطنه.

-(أي شعب ذلك الذي يفعل هذا، فيسمح للعدو بالهرب، بعد أن انتصر عليه).

-هل كان الروس يسمحون للألمان بالهرب؟

-ولو لكتيبة واحدة، ولو لجندي واحد؟

-نرفع اليدين، وهم يطلقون النيران على المكان.

-والآن كارتر[2]، ووزير خارجيته، يواصلان هذا.

هذا البولندي بريجسنكي، المعادي للسامية، إنه يوقعنا في الفخ، سلموا أولاً سيناء، والبترول، والطرق، والمطارات، وبعد ذلك نسلم الضفة، ومن بعدها الجولان، ثم القدس.

-نعم: القدس...

-وبعد ذلك، ماذا بعد ذلك، سلام؟

-إنكم بعد ذلك ستصبحون ضعافاً للغاية، بحيث لا يستحق الأمر عمل سلام معكم!

-إذن من أجل أي شيء يفعلون هذا؟

---

(١) هنري كيسنجر: وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية، إبان حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وكان له دور بارز في مباحثات فك الاشتباك بين القوات المصرية والإسرائيلية، بعد توقف القتال والمعارك، ولكن كانت تصرفاته ليست بعيدة عن جذوره المؤيدة لبني جلدته من اليهود، على حساب العرب.

(٢) كارتر: هو الرئيس الأمريكي الذي أنجز معاهدات السلام، بمشاركة الرئيس أنور السادات، بعد حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣. وبمشاركة مناحيم بيجن، رئيس الوزراء الإسرائيلي، آنذاك.

-هل فحسب، من أجل أن تبدوا عادلين في نظر العالم؟

-هل هناك دولة تفعل أشياء، لمجرد أن تبدو عادلة في نظر الآخرين؟

-**قال ميخال**: أنا لست فاهماً.

-**قال ميشا**: لماذا أنت غاضب إلى هذا الحد؟

-على أية حال، هناك رجال لديهم عقول، وهم يدركون ما هو الصحيح، وما هو الخطأ»[1].

إن هذه الفقرة من رواية (رحلة في أغسطس)، لأهارون ميجد، هي بمثابة رصد وتوثيق للوقائع السياسية، التي جرت بعد حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣. وبها تسجيل للمفاهيم المختلفة، التي سادت إسرائيل، آنذاك، ما بين التسليم بفرضيات السلام، والتخلي عن سيناء، وما بين التشدد، وعدم التفريط في الأرض المحتلة، من وجهة النظر المتطرفة.

ومضمون الفقرة، يفرز الاتجاهات التالية:

١- وجود اتجاه ينادي بعدم التنازل عن الأراضي المحتلة، متمثلة في سيناء، ثم ما يتلوها من تنازل عن بقية الأراضي المحتلة، بما في ذلك القدس، لدى قطاع المهاجرين الروس، والذي حرص الكاتب على وصف الشخصية ذات هذا الاتجاه بكلمة (الروسي)، لتميزه كمهاجر روسي، لم يذق مرارة الحروب بعد، وكل ما يعنيه، ويهمه هو الاحتفاظ بالأراضي التي وجد الجيش الإسرائيلي يحتلها، بغض النظر عن عدم شرعية هذا الاحتلال.

٢- اتجاه آخر، يرى عدم القبول بمبدأ الاحتفاظ بالأراضي، ويرغب في

(١) ميجد، رواية رحلة ...، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦، ٨٧.

السلام، ويعبر عن هذا الاتجاه قطاع كبير من المجتمع الإسرائيلي، وخاصة ممن ذاقوا مرارة الحروب، وفقد الأبناء على غرار شخصية (دانيال)، الذي فقد ابنه الأكبر في حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، ويخشى على ابنه الثاني، من نفس المصير.

٣- اتجاه ثالث، يرى التسليم بالواقع، والامتثال لما سوف تسفر عنه محادثات السلام بين مصر وإسرائيل، آنذاك، لأن هناك الساسة القائمين على ذلك، وهم يدركون ما هو الصحيح، وما هو الخطأ بالنسبة لهم. وهذا الاتجاه يمثله (يوحنان)، في الرواية، وهو جندي بالجيش الإسرائيلي، ويعي، تماماً، الفرق بين الحرب والسلام، ويدعو إلى اختيار السلام، عندما تكون هناك بادرة سلام، تلوح في الأفق.

٤- تتطرق الفقرة إلى فترة دقيقة، ومهمة من حرب السادس من أكتوبر، وهي فترة فك الاشتباك، بين القوات المصرية والإسرائيلية، بعد توقف القتال.

ويرصد الكاتب الآراء الإسرائيلية التي تنظر إلى عملية «الثغرة» ، على أنها انتصار عسكري إسرائيلي، وإن فك الاشتباك بين قوات الجيش الإسرائيلي، وقوات الجيش الثالث المصري، يعتبر تنازلاً إسرائيلياً. ويرد هذا على لسان اليهودي الروسي، الذي لا يعنيه السلام، ويعتبر أن ذلك كله، من قبيل التآمر على دولة إسرائيل، بغرض إضعافها، فكل ما يعنيه كمهاجر، الاستيلاء على أكبر قدر من الأراضي، واحتلالها لاستيعاب ملايين المهاجرين الروس، من أمثاله.

وقد حلل الكاتب، التفسير التآمري، الذي صاحب عقد معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، وذلك في رواية «رحلة في أغسطس »، في الفقرة التالية:

-وبصوت منخفض، ومن خلال مظاهر قلقها، قالت سوزان: كيف ترى الموقف؟ «الموقف»: ترقب وخوف.

-«في إسرائيل بشكل عام.... لم أقرأ صحفاً، ولكن سمعت أن الموقف، الآن،

صعب.....

-بأية مفهوم.

-« الآن حيث إن الولايات المتحدة الأمريكية تؤازر العرب.... وإسرائيل في الواقع تقف منعزلة، تماماً».

-قال بدون ثقة: «توجد معاهدة سلام»، ولكنهم يقولون: إن هذا، أيضاً، مؤامرة لإضعاف الدولة (إسرائيل)...

-وبعد أن تتسلم مصر سيناء كلها، سيكون الموقف أسوأ، وتندلع الحرب مرة أخرى»[1].

وفي هذه الفقرة، نجد رصدا لوقائع ما جرى في المجتمع الإسرائيلي، أيضاً، كرد فعل لعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل، مقابل الانسحاب من سيناء بالكامل، ولكن من منظور آخر، ليس منبعه الحرص على عدم التخلي عن سيناء ، ولكن مبعثه هو التشكك في نوايا الولايات المتحدة الأمريكية تجاه إسرائيل، يدفعها لهذا الموقف، الذي كان يرى فيه البعض -من وجهة نظر تشككية- أنه ينطوي على مؤامرة لإضعاف إسرائيل، ثم تهيئة الأجواء لحرب أخرى.

فالخوف الإسرائيلي هنا، قائم على التشكك في نوايا الأطراف الأخرى، الولايات المتحدة الأمريكية، ومصر. الولايات المتحدة بسعيها للتوصل إلى سلام بين مصر وإسرائيل، كنتيجة حتمية، وطبيعية لحرب أكتوبر ١٩٧٣، ومصر باعتبار أنها العدو الرئيسي لإسرائيل. والتي يتشككون، أيضاً، في نواياها الحقيقية في السلام، ويرون أنه مجرد مصيدة، ومؤامرة من أجل التمهيد لحرب أخرى، بينما تلعب الولايات

(١) المصدر نفسه، ص٤٥.

المتحدة في هذه المؤامرة دوراً مخالفاً لأدوارها التقليدية في مساندة إسرائيل، وتتحول لتقف إلى جانب مصر. وبالفعل فإنه شاع في المجتمع الإسرائيلي، آنذاك، هذا التفسير التآمري لمعاهدة السلام مع مصر، وتعالت الشكوك نحو أمريكا.

وبهذا يكون «ميجد»، قد رصد في رواياته على المستوى التاريخي، الأجواء الحقيقية التي صاحبت هذه المرحلة داخل المجتمع الإسرائيلي، من خلال شخصيات رواياته.

وهذا يجعلنا نتأمل الاتجاهات الإسرائيلية، على مستوى صانعي القرار، نحو السلام، ومواطن الصدق، والكذب، واحتمالات إحراز سلام، سواء كان جزئياً، أم شاملاً، وفي أي وقت، ومع من.

فعلى سبيل المثال، أورد ميجد تنامي اتجاهات المهاجرين الروس، ودورهم في عرقلة السلام، ورفضهم التام لمبدأ الأرض مقابل السلام، وهو ما يجري حقيقة على الساحة في الوقت الراهن.

ثانياً: محور حتمية امتلاك القوة: القوة النووية، وأكثر:

يتأكد هذا الاتجاه لدى رصد الكاتب الإسرائيلي المعاصر (أهارون ميجد)، له على لسان واحد من أبطال روايته (رحلة في أغسطس)، (ميشا)، أيضاً، وهو الشخصية الممثلة للتيار المتطرف، الرافض للتنازل عن الأرض المحتلة، مقابل السلام، والذي تتجسد فيه مرارة التجربة اليهودية في أوروبا، ويصر على أن من يسلم ما في يده للآخر، إنما يقبل طواعية، بأن يكون ضعيفاً، وعليه ألا يتوقع الرحمة، أو الشفقة من الآخر، ورفض شعار «اللاخيار».

ويتجسد هذا الاتجاه بوضوح، من خلال الفقرة التالية:

-« إنني أقرأ الأمور في الصحف، وأنا أفكر:

-هل يريد شعبنا (إسرائيل) أن يعيش؟

-ربما يكون قد فقد إرادة الحياة!

- إن الإنسان الذي لا يريد أن يعيش، يغلق عينيه، ويرى شخصاً متوحشاً واقفاً أمامه، يرفع عليه عصا غليظة، فيغلق عينيه؟

-وإذا كان قد أغلق عينيه، فإنه يعتقد، أنه ربما أشفق عليه الشخص المتوحش...

-ولكن الشخص المتوحش لا يشفق في أية مرة!

-إذن ماذا يعتقدون عندنا؟

-هل يعتقدون بعد أن نعطي للعرب كل ما يريدون سوف يشفقون علينا؟

-أم أنهم لن يكرهونا أكثر؟

-أم أنهم يشفقون على الضعيف؟

-أم أنهم لا يكرهون الضعيف؟

-هل خلال الألفي عام، التي كنا خلالها في «المنفى» ، وكنا ضعفاء، لم يكرهونا؟

-من أجل ماذا إذن جئنا إلى «بلادنا»؟ إذا لم يكن من أجل هذا، من أجل ألا نكون ضعفاء، ومن أجل ألا نضطر أن نجثوا على أفخاذنا، ونتوسل، قائلين:

-انظروا كم نحن طيبون، كم نحن إلى جانب العدل، والاستقامة.

-إذن لا تقتلونا، لا، إننا شعب يريد أن يعيش، وأنا أقول:

-«إنني يجب أولاً وقبل كل شيء أن أكون قوياً هذا أولاً وقبل كل شيء يجب أن أتمسك بكل ما يوجد في يدي طالما أنهم لم يخطفوه مني بالقوة.

-وبالنسبة للعدو فأنا لن أعطيه ولو حجرًا واحدًا، لأن كل حجر أعطيه له

سيقذفني به بعد ذلك!

-إذن ما هذا الذي يجري لدينا؟

-إن هذا تضليل، هكذا أقول!

-إنهم يتحدثون طوال الوقت عن حقوق العرب.....

-والشخص الذي يتحدث عن حقوق عدوه، ولا يتحدث عن حقوقه هو يكون هناك ثمة شيء على ما يرام بالنسبة له، إن هذا لتضليل، هكذا أقول:

وعندما ترد عليه «تمارا» مصدقة على وجهة نظره ومؤكدة أنها صحيحة ولكن «لاخيار» أمام الإسرائيليين بسبب الأمريكيين يرد عليه بقوله:

-إننا يجب أن نسأل أنفسنا ما هو الشيء الأفضل بالنسبة لنا وليس الأفضل بالنسبة للأمريكيين؟ ».

-ويرد عليه «يوحنان» قائلاً:

-«إنك تنسى أننا مرتبطون بهم بالمال والسلاح.

-ويرد عليه «ميشا» قائلاً:

-يجب ألا نكون مرتبطين!

-ما معنى الاستقلال؟

-إن الاستقلال معناه ألا نكون مرتبطين صحيح؟

-ألا نكون مرتبطين لا في الاقتصاد ولا في السياسة ولا في الجيش....

-وهنا نحن الآن نسلم كل سيناء لمصر وستكون أكثر ارتباطًا حتى بالنسبة للنفط سنكون مرتبطين وستكون لدينا قوة أقل سيبقون لنا المطارات وفي النهاية سيقولون لنا أيضاً متى سيكون مسموحاً لنا بأن نرسل الطائرات إلى الجو ومتى يكون هذا

محظوراً أليس كذلك؟ »[1].

وعلى ضوء ما تقدم يفجر «ميجد» في نفس الرواية الحل المقترح الذي يتلاءم مع وجهة نظر هذا التيار المتطرف من موقفه من السلام مع العرب ويكون الحل هو القوة النووية أولاً ثم السعي لما هو أكبر وأقوى من «القوة النووية»، وهي «أشعة الموت» وذلك من خلال لحظة خيال تتصور أن العرب قد استبدت بهم شهوة الانتقام فأقبلوا على إبادة إسرائيل وبالتالي تبرير امتلاك القوة الفتاكة.

◆◆◆

(١) المصدر نفسه، ص ٨٧- ٨٨.

obeikan.com

المبحث الثالث

المزج بين الواقع والخيال حول امتلاك إسرائيل للقوة الخارقة

يعد المزج بين الخيال والواقع من القواعد الأساسية لاتجاه الواقعية، ومن هنا نجد أن (أهارون ميجد)، كأديب واقعي، يأخذ بتلك القواعد لرسم الصورة الواقعية، الراغب في عرضها بشكل صادق، وواضح، خاصة عندما يمس موضوعات مهمة، نابعة من قلب المجتمع الإسرائيلي، وهنا في رواية «رحلة في أغسطس»، يرصد «ميجد» الأسرار العسكرية الإسرائيلية، وما يتعلق بالقوة النووية، ويذهب إلى أبعد من هذا بتصور امتلاك قوة، أكثر فتكاً من القنبلة الذرية، وهي «أشعة الموت»، وهي التي تعطي تميزاً قوياً، ومختلفاً بامتلاكها، حيث إنها سلاح فتاك، لا تصمد أمامه أية قوة مهما كانت، هذا بخلاف امتلاكها للقوة النووية في صحراء النقب.

ويتبلور الواقع مع الخيال مفجراً قضايا القوة النووية في صحراء النقب، وأشعة الموت، وما يضمره العقل اليهودي، ويختزنه في ذاكرته من تخوف تعاظم القوة العربية.

ومن خلال الفقرة التالية، نقف على فكرة الواقع المؤيد لامتلاك القوة، غير العادية في الحاضر، والمستقبل، بالنسبة لدولة إسرائيل:

حيث جاء الحوار التالي، في رواية «رحلة في أغسطس»:

-«أغلقت عينيها، ورأت طوابير من الدبابات تدخل المدينة، تحرث شوارعها.

-الآلاف من جنود العرب، تملأهم شهوة الانتقام، ينقضون على البيوت كالجراد.

-يذبحون .....

-ليس هناك من مفر.....

-يقتحمون الملجأ في السرداب.....

-قالت لنفسها: هذا هو الظلام، الليل، وبالليل يبدو كل شيء مبالغًا فيه، كابوس مرعب، ويأخذ أبعاداً فظيعة. ظل كالجبال.

-الواقع مع بزوغ ضوء النهار، شيء آخر.

-البلاد ليست مجردة من السلاح.

-يوجد سلاح فتاك لا يصمد أمامه أي عدو.

-قنابل ذرية في مكان ما بمخازن الطوارئ تحت الأرض، في صحراء النقب.

-الأسرار العسكرية بعيدة عنكن لكن يوجد، يوجد.....

-ربما، أشعة الموت.

-ماذا تعرفين من أساليب للتفكير، بما هو هنا، مثل ما هو هناك؟

-عامة، لا يخطر على البال....

-فكري في باكر .

-في «جيدي» (الجندي الذي يستعد للانضمام للجيش الإسرائيلي) .

-فكري فحسب، في «جيدي» [1].

تلك الرحلة التي يقوم بها الأب (دانيال) تقع في بيئة عسكرية، هي سيناء حيث كانت المواقع والمدن العسكرية على حالها، وعقل، وفكر الأب، ورفاقه في الرحلة،

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

وشغلهم الشاغل، أيضاً، موضوع عسكري، وهو الابن الأكبر، الذي فقد في حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، والابن الثاني (جيدي)، المزمع انضمامه للجيش الإسرائيلي. وبالتالي فإن الموضوعات الأخرى، التي تفجرت من خلال الحوارات على مدى الرحلة، كانت تتعلق بأمور من هذا النوع، من الناحية العسكرية.

وفي هذه الفقرة، تطرق التفكير لإحدى شخصيات الرواية إلى القوة النووية الإسرائيلية، من خلال الخيال الذي ذهب بعيداً.

لتتخيل المدينة الإسرائيلية، وقد باغتتها قوة عربية من آلاف الجنود بدباباتهم، يحرثون الشوارع، ويذبحون السكان، الذين لا مفر، ولا ملجأ لهم من هذا المصير المحتوم، حتى أن الملاجئ المحصنة الموجودة أسفل المنازل، تم اقتحامها من قبل الدبابات العربية.

وأمام هذه الصورة، ولو أنها من نسج الخيال، تأتي الصورة الحتمية والضرورية، وهي من الواقع لتضع الحل النفسي أمام الخوف من هجوم القوات العربية.

ويأتي الحل قاطعاً وقوياً متمثلاً في القوة النووية الحقيقية التي تملكها إسرائيل في صحراء النقب، وعلاوة على ذلك، وزيادة في إبراز الصورة المقابلة القوية ضد هجوم العرب المرسوم من الخيال نجد الكاتب يذهب أيضاً إلى الخيال ليعلن عن وجود قوة فتاكة أكثر من فتك ودمار القنبلة الذرية وهي «أشعة الموت».

كان الكاتب موفقاً جداً في رسم هذه الصورة الواقعية الصادقة، فتلك الصور جميعها تمثل الواقع الحقيقي للمجتمع الإسرائيلي، حيال نهج استخدام القوة وتعزيزها عسكرياً من وقت لآخر لأقصى حد يصل إلى صنع القنبلة الذرية وتبرير ذلك بالخوف من تعرض إسرائيل للتدمير والقتل من جيرانها العرب. وقد أبرز الخيال أن هجوم دبابات الجنود العرب كان كالجراد يلتهم كل شيء حتى أن

الملاجئ الموجودة تحت الأرض لم تحل دون هذا الهجوم.

ومن هنا، يريد الكاتب أن يقول : إنه لا مفر أمام الإسرائيليين، إلا استخدام قوة هائلة، ومن نوع جديد تكون فاعليتها ذات أثر فعال يمنع وصول طوابير دبابات العرب إلى المدن الإسرائيلية، لأن مجرد وصولهم فيه الدمار الكامل، ومن هنا كان الاعتماد على القنابل الذرية، التي تمثل الردع لهذا الهجوم، وعلاوة على ذلك فقد تخيل الكاتب استخدام وسائل أقوى من القنابل الذرية وهي «أشعة الموت»، التي تمنع في الأساس وصول القوات العربية للمدن الإسرائيلية لأنها تملك الفتك والموت لحظة إطلاقها، ويبقى مطلقها في أمان، ومأمن من كل هجوم عربي مباغت.

وفي نهاية الحوار، وبعد الاطمئنان على القوة الرادعة، التي تملكها إسرائيل، يعود الحوار حول القضية الرئيسة، وهي مستقبل الشاب «جيدي»، وانخراطه في الجيش الإسرائيلي، والخوف من المصير، الذي كان مثار القلق للأسرة، في مضمون الرواية، والأسرة الإسرائيلية في الواقع بشكل عام وهو فقد أعز الأبناء في الحروب.

ويبرهن الواقع على صدق ذلك عندما خاطب الزعيم الراحل أنور السادات الشعب الإسرائيلي، كان صائباً بكل حكمة وحنكة. عندما توجه إلى الحفاظ على الأبناء وحياتهم وحقن الدماء الغالية والحد من آلام الثكلى والأرامل وآلام الآباء والأمهات والأسر وهذا ما لقي كل ترحيب وإجماع وخاصة أن التوجه من منطلق القوة وانتصار السادس من أكتوبر.

وبالتالي كان الانسحاب من سيناء ومعاهدة السلام.

وفي موضع آخر من رواية «رحلة في أغسطس» يبرر الكاتب امتلاك إسرائيل لهذه الأسلحة الفتاكة بدعوى أنها دولة صغيرة محاصرة بين دول كبرى (عربية) معادية.

فتأتي الضرورة لامتلاك مثل هذه القوة.

ونلمس ذلك من خلال الفقرة التالية:

نعم....معبر للأفق، الخوف، دائماً، دائماً، ولا مفر من هذا أو ذاك...

من أين، ومن أين لشعب صغير ومحاصر مكشوف للعيان، في برج، وهناك (يقصد أيام الشتات) كان نصيبه (الشعب اليهودي) الاضطهاد...

لم ير النور أيضاً على تلك الأرض (فلسطين) [1].

وبالتبعية يأتي التأكيد على مقولة الشعب الصغير المحاصر كنوع من التغطية والتمويه على القوة الرادعة بل والقوة النووية بعد ذلك.

التستر وراء قوة عسكرية هائلة كافية لتدمير المنطقة كلها والهرب من الكشف عنها بدعوى أن إسرائيل شعب صغير ومحاصر.

وبتلك المقولة تحظى إسرائيل بتأييد من طرفين أحدهما داخلي متمثلاً في الغالبية الشابة، والقوى الرادعة البشرية، والآخر خارجي من خلال التأييد الأمريكي، والتمويل الخارجي، المتمثل في اللوبي اليهودي خارج إسرائيل، والمعونات الأمريكية.

وتكتمل صورة الدولة (إسرائيل) في امتلاكها لأقوى وأحدث الأسلحة الفتاكة، و عمليات التمويه، والإخفاء، وعدم الكشف عنها، إلى العمل على تدمير أية قوة تماثلها، أو تنازعها في هذا الشأن، وذلك عن طريق تشكيل جماعة تمثل العقل اليهودي في كل أنحاء العالم، هدفها ضرب أية قوة من هذا النوع، تشكل خطراً على إسرائيل، وبالتالي يكون واجبها «الدفاع» عن إسرائيل، وفي نفس الوقت، يكون لها

(١) المصدر نفسه، ص ٤٥.

دوراً إيجابي، يتمثل في إحلال وتطوير وسائل حرب سرية للدفاع عن إسرائيل.

وتلك الصورة مرسومة بشكل مباشر في رواية «فويجلمان» لأهارون ميجد حيث كتب بطل الرواية (فويجلمان) هذه السطور:

- «دولية العقل اليهودي».

«وتحت هذا العنوان تفصيل أهدافه، وكيفية مزاولة نشاطه الدولي مثل:

- إعداد ميثاق الأسرار ويكون له قيادة تفرض طابعها على كل أعضائها حيث يتواجدون هناك.

- يسيطر عليه مغزى خطير.

تستطيع دولية العقل اليهودي أن تعوق، أو تفشل تطوير وصنع وسائل الحرب، التي تشكل خطراً على سلامة إسرائيل، تستطيع أن تفرض عقوبات على دول معادية بواسطة تخريب وشل معاهد العلم. وفي مقابل هذا تستطيع إحلال، وتطوير وسائل حرب سرية تستخدم للدفاع عن إسرائيل دفاعاً عنها فحسب[1].

في هذه الفقرة يطالب بطل الرواية (فويجلمان) بتسخير العقول اليهودية في كل أنحاء العالم للعمل على حماية إسرائيل بواسطة أسلوبين أحدهما بالسلب والآخر بالإيجاب.

يتمثل أسلوب السلب في تخريب المعاهد والمعامل التي تعمل على تصنيع، وتطوير وسائل حربية متطورة يمكن أن تهدد أمن وسلامة دولة إسرائيل «كما حدث بالفعل عندما قامت إسرائيل بتدمير المفاعل النووي العراقي».

أما أسلوب الإيجاب، فيتمثل في العمل على إحلال وتطوير وصنع وسائل حربية

(١) ميجد، رواية فويجلمان، مصدر سبق ذكره، ص٢٥٣، ٢٥٤.

جديدة تستخدم للدفاع عن إسرائيل فحسب.

ويتصور الكاتب (وهذه هي الحقيقة في الواقع) تشكيل جماعة تمثل العقل اليهودي في شتى أنحاء العالم تلتزم بتنفيذ هذا المخطط ويكون لها سيطرتها على أعضائها.

ويستمر الكاتب في المطالبة بأن تمتلك إسرائيل أقوى الأسلحة الفتاكة التي تفوق القنبلة الذرية وهي «أشعة الموت».

حيث يبدو أن الكاتب يشير إلى القنبلة الذرية إشارة ساخرة لكونها موجودة في الغرب والشرق وربما ستكون في يوم من الأيام ليس ببعيد في حوزة الدول العربية. وبذلك يركز على استخدام ما هو أقوى وأكثر فتكاً وتدميراً وهو «أشعة الموت».

وفي هذا الشأن، يقول:

والسلاح السري الذي يفوق كل سلاح آخر في العالم سيكون «أشعة الموت»، ليس قنبلة ذرية إذ أن قنبلة من هذا الصنف، موجودة بالغرب والشرق، وليس بيوم بعيد ستكون أيضاً، في يد دول عربية وتكفي واحدة من إحداهن أن تدمر إسرائيل وتهلك سكانها.

«أشعة الموت »خلال ثوان معدودة.

بقوتها أن تدمر جيوش كبيرة وعظيمة.

فعندما تتجمع جيوش الأعداء على حدود البلاد (إسرائيل) لشن حرب تسقط جميعاً أمام أشعة الموت وتنقذ إسرائيل[1].

اختار الكاتب بطل الرواية «فويجلمان» ليكون هو المقترح والمتخيل والراغب في كل هذه الأمور المتعلقة في أساسها بإحلال الطمأنينة لمواطني دولة إسرائيل، وتوفير

(١) المصدر نفسه .

الأمن لهم على الأرض التي يعيشون عليها بالاحتلال.

ويأتي الاختيار موفقاً لأن «فويجلمان» واحد من الذين كتب لهم النجاة من أحداث النازية، وقضى عمره في الشتات (حسب أحداث الرواية) وعندما عاد لإسرائيل، شعر بالغربة وافتقد الأمان النفسي ورأى القتل والدماء والحروب واستشعر الخوف والقلق أكثر مما كان يشعر به في غربته وشتاته.

ومن هنا أخرج كل ما في فكره من خيال وواقع ليتحقق له ولبني جلدته الأمان المطلوب في إسرائيل، فذهب بفكره إلى أبعد حد لدرجة أن القنبلة الذرية لم تعد كافية بالنسبة له لردع أعدائهم وبالتالي كانت «أشعة الموت» القاتلة.

و«فويجلمان» كواحد من الناجين من أحداث النازية، لابد وأن يكون له ولأمثاله فكر يختلف عن الآخرين حيث إن الأحداث التي مر بها منذ طفولته-حسب الرواية- وحتى نجاته، كانت كافية بأن تجعل منه شخصاً يتمسك بالحياة بكل الأساليب « لقد كان اليهود الذين أرسلوا إلى أوروبا عند انتهاء الحرب لإنقاذ الناجين، كانوا يدركون إدراكاً، مباشراً، أن هؤلاء الناس قد مروا بتغيرات عميقة». وكان هناك نوع من التغير واضح كل الوضوح بين الأطفال «أطفال المعسكرات» كما يطلق عليهم. لقد نجوا من سجون الاعتقال النازية، لكي يجدوا أنفسهم في معسكرات للأشخاص المرحلين ثم في معسكرات الاحتجاز البريطانية في قبرص أو في فلسطين ذاتها. إن هؤلاء الأطفال إذن قضوا أعوام طفولتهم الحيوية في معسكرات الموت النازية، وقد عرفوا أن السبيل الوحيد لتجنب المصير الذي حل بآبائهم وعائلاتهم هو النضال من أجل الحياة بالأسنان والأظافر إذا لزم الأمر»[1].

(١) جون لافين، العقلية الإسرائيلية، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة، رقم ٧٥٠، القاهرة، ١٩٧٩، ص٥٢، ٥٣.

فقد وجب علينا أن نتأمل القيادات الإسرائيلية الحالية والمستقبلية ونبحث في جذورها وبالتالي نتوقع تصرفاتها حيال الآخر وحيال العرب وحل قضايانا الشائكة المتمثلة في تحرير الأرض المحتلة، وقيام دولة فلسطين واسترجاع المقدسات وبالتالي نضع صورة واضحة المعالم أمام من يهمه الأمر من متخذي القرار العربي.

◆◆◆

obeikan.com

المبحث الرابع

المكان كسمة من سمات واقعية الرصد التاريخي سيناء ومعاهدة السلام

تأتي دائماً الصور التي يرسمها الأديب «أهارون ميجد»، بأسلوبه الواقعي صادقة، ومعبرة لأقصى حد، لأنه يلتزم في بنائه الروائي على العناصر الأساسية لذلك الأسلوب وهنا تبرز الصورة صادقة من خلال الوصف الملتزم بعنصري المكان والزمان ونحن بصدد وصفه للمواقع العسكرية الإسرائيلية في سيناء من خلال رواية (رحلة في أغسطس).

نجده ينهل من البيئة بواقعها وطبيعتها وأسمائها الحقيقية، مع التحديد الزمني من خلال الحوار ومن خلال تاريخ إنشاء تلك المواقع وتطورها حتى صارت على الوضع الموصوفة به في أحداث الرواية، التي تدور حول حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وما تلاها من أحداث تتعلق بمعاهدات السلام والتخلي عن سيناء وغيرها من الأراضي المحتلة.

وتتكون عناصر الواقعية ومصداقيتها من خلال الرصد التاريخي للأحداث بطريقة غير مباشرة فمرة يأتي التاريخ من خلال تاريخ عودة سيناء لمصر وهو تاريخ لاحق لحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ أو من خلال ذكريات الخدمة العسكرية في تلك المواقع بسيناء وتذكر أيام الخدمة في تلك المناطق بإيراد التاريخ بالسلب « لم أكن هنا منذ عدة سنوات» والتاريخ اللاحق بالإيجاب، عندما ورد في الحوار «هل بيرتمادة ستسترد قريباً (تعود لمصر). أم لا؟

«نصف عام».

من خلال ذلك يستنبط التاريخ وزمن الأحداث مقروناً بالبيئة والأماكن

الواقعية مجال الوصف للأحداث، مع الوصف الواقعي للطبيعة الصحراوية، والرملية ووعورتها.

مع استمرار رحلة (دانيال) والد الجندي المفقود في حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ورفاقه بالسيارة، عبر سيناء، ومواقعها العسكرية وطرقها ومعابرها المختلفة تدور أحداث وتقع مناقشات وحوارات تفجر قضايا مختلفة وفي هذه المرة وعند مفترق إحدى الطرق ينضم إلى الرحلة أحد الجنود، ومن خلال الحوار معه نتعرف على المواقع العسكرية في سيناء وكيفية التكيف والمعيشة داخل هذه المواقع مع وصف دقيق للطرق والمعسكرات.

ويبدو ذلك واضحاً في فقرات الحوار التالية، في رواية «رحلة في أغسطس»، على النحو التالي:

-«توقف عند مفترق الطرق المؤدي للقرية، فتح الباب، والتقط إلى داخل السيارة الجندي المنتظر هناك مع سلاحه.

-أخيراً.. وضع الجندي البندقية تحت أقدامه، ولبس حزامه، وقال:

-أنا منتظر هنا لأكثر من ساعة.

-إلى إيلات...

-نعم.

-من هناك، من الضروري، أيضا، الذهاب إلى بير تمادة.

-هل يوجد من إيلات طريق إلى بير تمادة؟

-اندهش عندما تذكر تلك الأيام، عندما سافر من اللد إلى رفيديم، ومن هناك طار إلى بير تمادة ولمعسكرات أخرى في شتى أنحاء سيناء لإلقاء محاضرات

للمجندين في خدمة الاحتياط.

-عن طريق الجو....

-ابتسم الجندي (وهو شاب مشرق، طويل القامة، له شارب دقيق ذهبي).

-نعم، توجد طائرة إلى رفيديم، في الرابعة والنصف.

بيرتمادة: صفوف من الأكواخ الصغيرة، مستطيلة الشكل ومجمعات استهلاكية، مكاتب للقيادة، ونادي، مدينة صغيرة على السهل الأصفر اللانهائي، الذي ليس به ظل...

-النادي الذي حاضر فيه في الأعوام ١٩٧١، ١٩٧٢، عن التواجد الذي نعيش فيه.

-طريق العريش ليس قريباً جداً، حاول تذكر خريطة الطرق لسيناء.

-نعم ولكن بالنسبة لي أحتاج ليوم كامل، من أجل الوصول إلى العريش....

بيرتمادة.... ومن هناك بواسطة السيارة الجيب للمعسكرات الصغيرة المحيطة بها، الخاصة بسلاح المدرعات، والمدفعية، إلى ممر متلا، وإلى مواقع القناة إلى بالوظة، وطاسة إنه موقع الإعاشة الذي نعيش فيه....[1].

تتضمن الفقرة السابقة الأماكن والطرق الحقيقية بسيناء والشكل الحقيقي للمواقع وكيفية الوصول إليها سواء عن طريق البر أو عن طريق الجو. والأسماء الحقيقية للمواقع والمدن في عمق سيناء هي بيرتمادة والعريش وممر متلا وبالوظة وطاسة.

ويمكن التعرف على شكل الحياة في تلك المواقع، وخاصة مع الوصف الكامل

(١) ميجد، رواية رحلة ...، مصدر سبق ذكره، ص٥٥، ٥٦.

لمنطقة بير تمادة، الذي يتضمن أماكن الإعاشة، وهي صفوف من الأكواخ الصغيرة المستطيلة الشكل ، والمجمعات الاستهلاكية، مع وجود نادي للترفيه وتوجد هناك المعسكرات متناثرة حولها، حسب طبيعتها العسكرية سواء المدرعات أو المدفعية وغيرها.

ومع استمرار الرحلة يستمر الحوار حول سيناء والمواقع والطرق وطبيعة الحياة فيها ومدى توفر إمكانيات المعيشة والإقامة بها:

- «يوجد طريق من إيلات لبير تمادة».

- قالها الجندي، كما لو كان قد قدر الإمكانات المختلفة في نفس الوقت.

- طريق عبر وادي، لكن أوفر من طريق الخوربان.

- في الواقع ليس أقل من مائتي كيلو متر.

- هل أنت من تلك الموشاف (المستوطنة) التي هناك؟

- نعم. نعم .....

- هذا كثير.....خلق انطباعًا كهذا عن الطريق.

- نعم، أكثر من ثمانين أسرة.

- هل المياه متوفرة عندكم هناك؟

- من الأبيار، توجد مياه كافية في باطن الصحراء، تحتاج للحفر والتنقيب، فحسب.

- ما هو المتوفر من المزروعات....

- كل شيء... خضراوات ، زهور.

- مأكولات جيدة؟

- ليست رديئة، كل شيء يتم إعداده هنا، ويسوى مسبقاً..

- ولكن الأسعار معقولة.

- للتصدير، أيضاً...

- هل أنت هنا للمرة الأولى؟

- كلا، ضحك، كلا، ولكن جئت هنا من ثمان أو تسع سنوات...

- هل بير تمادة ستسترد قريباً (تعود لمصر) أم لا؟

- بعد نصف عام.

- إذن؟ وبعد ذلك؟ [1].

على الرغم من البيئة الصحراوية وقلة المياه بسيناء فإن الكاتب أراد أن يبرز صورة قهر هذه الصعاب وإقامة حياة كاملة من خلال إقامة مستوطنة زراعية، وإعاشة لأكثر من ثمانين أسرة معتمدين على مياه الآبار التي يحفرونها لأن المياه هي عصب الحياة.

وبالتالي، فإن كل شيء متوفر في تلك البيئة.

وبما إن هناك صعوبات، فإن الكاتب أورد صورة من التفاؤل والإشراق، وذلك بتوفر المياه في باطن الصحراء، ولا يبقى سوى التنقيب والحفر وهذه صورة إيجابية أوردها الكاتب لإبراز إمكانيات التعمير في سيناء ومدى أهميتها وفي نفس الوقت أورد الصورة المقابلة لذلك وهي عودة سيناء إلى مصر طبقاً لاتفاقيات السلام بين مصر وإسرائيل.

ويستمر الحوار مع استمرار الرحلة، وتتفجر من خلال هذا الحوار أكثر من

(١) المصدر نفسه، ص٥٦.

قضية واقعية تتعلق بسيناء وعودتها وذكريات الخدمة والمعيشة في مواقعها العسكرية، وكذلك الوصف الصادق للبيئة التي أفردها أمامنا الكاتب بكل تفاصيلها، ومحتواها.

كما هو في الحوارات التالية في رواية «رحلة في أغسطس»:

- ضحك الجندي، ووضع راحتيه على صدره، وقال:

- انتهى... شكرا لله، ثلاث سنوات كافية بالنسبة لي في الصحراء القاحلة...

- هل في سلاح المشاه؟ أم في المدرعات؟

- في المدفعية، ثلاث سنوات فوق الرمال...

- من بير تمادة، مساء اليوم التالي لطاسة...

- اللقاء المدهش مع نوني منذ نصف عام الموقع الذي نعيش فيه...

- وكان المكان بسيطاً بالجبهة والآن تطور وتوسع..

من بير تمادة لطاسة، مدينة جبلية عسكرية ممتدة على الهضاب تغص بالحياة وأدوات حرب وورش ومكاتب وموظفات بزيهن العسكري وضباط صف وسائقين ولافتات....

(لافتات مدون عليها)

- لا تقل أريد لكن أعمل...

- الاقتصاد هو موضوع الساعة...

- الراغب في السلام يستعد للحرب...

- لافتات وحدات بالحروف الأولى «الاختصارات».

- إلى مكان الأدشاس.....

- إلى المجمع الاستهلاكي....

- إلى البريد....

- إلى السكرتارية العسكرية...

- إلى ضابط التعليم المساعد...

- إلى مكان الاحتفالات...

- لافتات تساعدك في الوصول إلى حجرة الطعام تقدم الوجبة وجبة مضاعفة خليط من شوربة الخضار الحمراء وحساء خفيف يقترح عليك قضاء راحة الظهيرة في كوخ الضيوف.

- سأل في الطريق إلى هناك عن إمكانيات الدراسة بالجامعة.

- وأنت بعد أن تضع الحقيبة الصغيرة على السرير تطلب التحرك إلى وحدة الابن كتيبة ١٢ السرية الأولى..

- نعم هذا يشبع رغبتك الضابط المساعد كل شيء في خدمتك.

- تتجول بالمعسكر وعند جلوسك على السرير في هذا الكوخ يتطاير التراب الناعم على شكل موجات على أرضيته، ويغطى الصندوق بلون أصفر الكرسي المصباح المتدلي من السقف .

- يخصص لك سيارة جيب تسافر بها بالطريق الذي تحول ليصبح طريقًا دائريًا على مداه إلى موجات هضاب الرمال المترامية، وتصل إلى مجموعة دبابات مغطاة بشباك خضراء على جانب الهضبة كما لو كان منحوتاً بداخلها وهي غرفة عسكرية تحت الأرض من الخرسانة المسلحة الرمادية المحصنة[1].

(١) المصدر نفسه، ص٥٧.

الحوار في الفقرة السابقة أفرد أمامنا بانوراما واسعة للنهج الواقعي للكاتب، فقد تطور الوصف من وصف للطريق والمسارات والمواقع والمدن العسكرية والطقس والبيئة. إلى الدخول في أغوار هذه المواقع العسكرية أو المدن العسكرية كما يسميها في الفقرة السابقة فقد وصف لنا تلك المدن العسكرية من الداخل من حيث الشكل وحتى أسلوب المعيشة بداخلها.

وتفرز الفقرة السابقة عدة عناصر حول أسلوب المحتل في التعامل مع أرض سيناء المحتلة، والاستفادة منها والتوجيه لأفراده بدعوتهم بالعمل الجاد على هذه الأرض، والتركيز على الجانب الاقتصادي باعتبار أن الاقتصاد هو موضوع الساعة، وسمة العصر.

وهذا يعطي صورة لنوع الثقافة التي كان العسكريون يركزون عليها في مثل هذه المواقع البعيدة عن الدولة، وفي المواجهة وفي تلك البيئة القاسية بسيناء.

وبالتالي، وجب علينا أن نأخذ العبرة والدرس لنحافظ على سيناء ونعمرها بقلب صاحب الأرض وليس بشهوة المحتل، ولو في الحد الأدنى المشابه لأسلوبهم.

ولا ينسى الكاتب الإسرائيلي أن ينبه إلى القوة من خلال قوله «الراغب في السلام يستعد للحرب» وهي دعوة للقوة بجانب الرغبة في السلام أي أنها دعوة لأن يكون السلام من خلال القوة المتمثلة في الاستعداد الدائم للحرب.

أثيرت في الفقرة السابقة قضية عودة سيناء لمصر، من خلال اتفاقيات السلام، وذلك وارد ضمناً من عودة الجزء (بير تمادة) إلى عودة الكل (سيناء) وكان رد الفعل من قبل المتحدث في الحوار أن قال:

«انتهى، وشكرا لله» ، وكان رد الفعل من قبل الجندي متوائماً مع ما سمع فقد قال: « ثلاث سنوات كافية بالنسبة لي في الصحراء القاحلة، وهذه السنوات الثلاث

قضاها في سلاح المدفعية أي أنه يريد القول بأن عودة سيناء جاءت في وقتها فقد خدم بها ثلاث سنوات، وهذا كافٍ له بما تحمل من مشاق وتكبد من متاعب في تلك البيئة القاسية.

فلتذهب سيناء لمصر وليستريح هو وأمثاله من صعوبة الخدمة بها. ومع استمرار الرحلة يؤكد الكاتب على الرؤية السابقة تجاه عودة سيناء فنجد أن الجندي يفكر في مستقبله بعد نهاية خدمته في سيناء التي ستعود لمصر، ويسأل عن إمكانيات الدراسة بالجامعة وهذا هو الأسلوب المتبع في إسرائيل لإتمام الدراسة الجامعية وذلك بعد نهاية الخدمة العسكرية.

وتكتمل الصورة التي رسمها الكاتب للحياة داخل هذه المواقع العسكرية فقد أوضح أن مدينة طاسة مدينة جبلية عسكرية ممتدة على الهضاب وتفتقر لسبل الحياة. ورسم لنا اللافتات المختلفة، التي تعد وسائل تعليمية، وتوجيهية علاوة على ذلك هناك اللافتات التي تفصح عن أماكن الإعاشة، والترفيه للجنود من أماكن للاستحمام والطعام والنواحي الإدارية مثل البريد والسكرتارية العسكرية وغيرها.

◆ ◆ ◆

المبحث الخامس

حرب لبنان ١٩٨٢

«إن المجتمع الإسرائيلي يعيش منذ وجوده، تناقضاً حاداً بين فرضيات الأيديولوجية الصهيونية، التي تدعو إلى جعل اليهود شعباً مثل سائر الشعوب، وبين إفرازات الوجود الإسرائيلي القائمة على حتمية التوسع في الأراضي سواء لأسباب أيديولوجية صهيونية أو أمنية وهذا التناقض الحاد الذي يعيشه الإسرائيليون، هو تناقض لا يملكون له حسمًا وهو الذي يفسر سقوطهم في هوة الجبرية، حيث أصبح الوجدان الإسرائيلي يتعامل مع الحرب، كما لو كانت حالة لا نهائية، ودائرة مغلقة لا فكاك منها»[١].

ومن هنا كانت حرب لبنان الأولى إشباعاً لنزعة الاتجاه بحتمية التوسع في الأرض لأسباب أمنية، فقد أطلق على هذه الحرب عند اندلاعها « عملية سلامة الجليل »، حيث تزرع العسكريون الإسرائيليون بأن هناك تهديدًا على شمال إسرائيل، مصدره جنوب لبنان، وهو مصدر العمليات العدائية ضد إسرائيل، ومن هنا كانت حرب لبنان ١٩٨٢.

وبدراسة أحداث التاريخ المعاصر لدولة إسرائيل من خلال محطات الحروب، التي لم تتوقف إسرائيل عن خوضها نجد أن الكاتب قد تطرق إلى تلك الحرب، وملابساتها وذلك في رواية «فويجلمان» وذلك من خلال وجهة النظر الرافضة لتلك الحرب ولنهج الدولة الإسرائيلية في التدخل في شؤون جيرانها والعدوان عليهم، ويأتي هذا النقد على لسان شخصية (أرونيج)، نجل «فويجلمان» حيث يقيم في أوروبا ولا يرغب في الهجرة لإسرائيل الذي ينتقد هجرة والده إليها ويوجه انتقاده

(١) الشامي، عجز النصر... ، مصدر سبق ذكره، ص٧٠.

لدولة إسرائيل، وسياساتها، ونهجها في لعدوان على جيرانها، وانتقادها خوض حرب ١٩٨٢ ضد لبنان.

حيث جاء على لسانه منتقداً ما يدور في إسرائيل بقوله:

ـ ماذا يوجد عندكم هنا؟ (إسرائيل)؟

ـ حروب، حروب ....

ـ العسكريون عندكم بالطبع عندما عبروا نهر الليطاني، اعتبروا أنفسهم وكأنهم قيصر عندما عبر «روبيكون».

ـ قلت: إن اجتياح لبنان بالتأكيد، كان خطأ.

ـ هذا هو رأيي ولكن حيث إن الجيش يعبر نهر الليطاني عائداً، فإن هذا بمثابة «تراجع».

ـ وكانت نظرته مثبتة بي، كمن يريد إجابة أخرى.

ـ إنه خطأكم القديم ...

ـ ربما هو الدولة نفسها.... وكل الذي حل في أعقاب قيامها...

ـ وبعد برهة من الصمت.

ـ قال مبتسماً:

ـ أنتم في الواقع تعيشون بمفاهيم القرن التاسع عشر.

ـ كل قضايا الإغارات خلف الحدود.... التدخل في شؤون الدول المجاورة، إنها المفارقة[١] التاريخية[٢].

(١) ميجد، فويجلمان، مصدر سبق ذكره، ص١٥، ١٦.

(٢) المفارقة التاريخية، يقصد بها حدوث الشيء في غير زمانه، ومكانه.

لقد وظف الكاتب الحوار في الفقرة السابقة، كما هو المعتاد عند تناوله للأحداث، لتوجيه النقد اللاذع تجاه نهج إسرائيل وأسلوب الجيش الإسرائيلي في العدوان، والتدخل في شؤون الدول المجاورة.

لقد انتقد بشدة، وبسخرية في نفس الوقت خوض حرب لبنان ١٩٨٢، وسخر من اجتياح الجيش الإسرائيلي للبنان، واحتلال أجزاء منها بدعوى الأمن والتأمين، وذلك على لسان «أروينج» الشاب اليهودي الذي يعيش في أوروبا، ولا يرضى عنها بديلاً وينتقد هجرة والده إلى إسرائيل لأنها دولة تفتقد الأمن والأمان، وتعيش في جو الحروب والدماء على الدوام.

يركز الكاتب في هذه الفقرة بأسلوبه الساخر على عنصر المكان، «ماذا يوجد عندكم هنا».

فكلمة هنا تشير إلى دولة إسرائيل وتضع في مخيلة القارئ الاتجاه صوب المكان المقابل وهو مكان إقامة «أروينج» بأوروبا حيث لا يرغب في مغادرتها على غرار ما فعله والده بهجرته لإسرائيل، وتتكرر كلمة الحرب أكثر من مرة حروب، حروب، مما يوحي بالرفض والنفور من هذه الحروب، وما تتمخض عنه.

وكذلك كلمة «عندكم» تشير إلى العسكريين في إسرائيل، ونهجهم المرفوض من جهته، وإلى كلمة «أيضاً» هذه الكلمة تشير إلى المكان، وما يتم فيه من أعمال، وتوجهات عسكرية غير مقبولة عند الشاب «أروينج».

وعلاوة على ذلك، فإن النقد الساخر، واللاذع يتجه إلى أبعد من نقد تصرفات، ونهج القادة والعسكريين الإسرائيليين في التدخل في شؤون الدول المجاورة وشن الحروب إلى عدم الاعتراف بالدولة (إسرائيل) في حد ذاتها حيث يعتبر قيامها خطأ كبيراً وأن كل ما حدث في أعقاب قيامها يعد من باب الخطأ أيضاً.

ويستمر الكاتب في عرض النقد الساخر، واللاذع لتوجهات القادة في إسرائيل، من خلال الحوار الوارد على لسان الشاب اليهودي «أروينج» حيث يقول: «أنتم في الواقع تعيشون بمفاهيم القرن التاسع عشر».

وهنا يدلل على قصور ثقافي واجتماعي وسياسي في المجتمع الإسرائيلي من وجهة نظره لأن كل ما يحدث في إسرائيل والمشار إليها بالضمير« أنتم: أساليب القرن التاسع عشر مما يشير إلى تدني تلك الأساليب في مقابل التقدم المزدهر بأوروبا وما يشعر به من أمن وأمان، مقابل افتقاده بإسرائيل».

ويتشعب النقد من العام وهو انتقاد قيام الدولة نفسها، «دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ » إلى الخاص وهو ما عبر عنه «المفارقة التاريخية» مشيراً إلى شن الغارات على الحدود المجاورة والتدخل في شؤون الدول المجاورة وأن هذه الأمور لا تتناسب مع روح هذا العصر ولن تجلب الأمن لإسرائيل.

وقد عبر الكاتب عن عبور نهر الليطاني، بأنه الفشل بعينه، لأنه يعد بمثابة تراجع وتقهقر للجيش الإسرائيلي الذي تكبد خسائر فادحة من جراء ذلك.

◆ ◆ ◆